

ومضة حسينية (5-6-7)

ومضة حسينية (5) إني لا أعلم أصحابًا خيرًا من أصحابي

قال الإمام الحسين عليه السلام: (إني لا أعلم أصحابًا خيرًا من أصحابي). يا لها من كلمة عظيمة لها دلالات عميقة. كلمة تكتب بماء الذهب. ليست لأنها صادرة من خامس أصحاب الكساء وسيد شباب أهل الجنة فحسب، ولكن لأنها تعطي توصيفا دقيقا لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام. إذ لم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذا القول في أصحابه. ولم يقل أمير المؤمنين علي عليه السلام مثل هذه الكلمة في أصحابه. ولم يقلها الإمام الحسن عليه السلام في أصحابه.

والإمام الحسين عليه السلام عندما قال تلك العبارة في أصحابه لم يقلها منطلقا من عاطفة إعجاب بهم، ولم يقلها مبالغة فيهم، ولم يقلها في غير محلها لأنه لم يقل شيئا قط في غير محله. وكان الإمام الحسين عليه السلام دقيقا في عبارته حيث قال (لا أعلم)، ولم يقل لم أر أو لم أعرف، حيث قد ينصرف قوله إلى وجود غيرهم في حقبة زمنية أخرى أو في مكان آخر. ولكن قال (لا أعلم) لينفي أي وجود لأصحاب أفضل من أصحابه.

إذن بماذا تميز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حتى أصبحوا خير أصحاب لسيد شباب أهل الجنة؟

عندما نلقي نظرة فاحصة على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نجدهم يشكلون فسيفساء بشرية متنوعة. نجد فيهم الشباب والكهول والشباب. القريب والبعيد نسبا، العبيد (الموالي) والأحرار وفيهم أفراد وشيوخ عشائر. حتى النساء شاركن في المعركة. ونجد في الشهداء أطفالا رضع وأطفالا لم يبلغوا الحلم.

وعندما قال الإمام الحسين عليه السلام تلك العبارة قالها في أصحابه الذين استشهدوا معه في يوم عاشوراء، ولم يقلها في أحد ممن خرج معه من مكة وصحبه في الطريق إلى كربلاء ثم انسحب في الطريق. نعم لقد قالها فقط في ثلة قليلة آمنت به وبقضيته وناضلت من أجل مبادئ الإسلام التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام في وجه الظلم والطغيان. هؤلاء الأصحاب التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام ليس لدنيا أو مال أو جاه أو مناصب دنيوية، لا ولكن خرجوا معه لإقامة العدل والمساواة والإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. لقد استشهدوا بين يدي الإمام الحسين عليه السلام طواعية ورغبة في

الشهادة. بل يعلمون علم اليقين أنهم سوف يستشهدون في يوم العاشر من محرم.

كان الإمام الحسين عليه السلام واضحا من أول لحظة خرج فيها من مكة حيث خطب في الحجيج عند الكعبة المشرفة وقال: (أيها الناس، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفاً وأجربة سغيا، ولا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا أو رضا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله).

وما يدل على ذوبان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الله سبحانه وتعالى واشتياقهم إلى لقائه ما قاله أصحابه ليلة العاشر من المحرم عندما خطب فيهم: (أما بعد فإنني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإنني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً إلاّ وأناي قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم رجّ مذّي ولا دمام هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جَمَلاً). قال نافع بن هلال وهو يخاطب الحسين عليه السلام معبراً عما يجول في خلد أصحاب الإمام الحسن عليه السلام: والله لو قتلنا ثم أحرقنا ثم ذرينا في الهواء يفعل بنا ذلك سبعين مرة ما تركناك.

ومضة حسينية (٦) صدقت أمك حين سمتك حراً

عندما وقف الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه بين يدي الإمام الحسين عليه السلام معذراً تائباً، قال له الإمام الحسين عليه السلام: (صدقت أمك حين سمتك حراً، أنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة). يا له من وسام عظيم حاز عليه الحر من أفضل خلق الله في زمانه، من سيد شباب أهل الجنة وحبيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف نال الحر هذا الوسام الذي ختم به حياة الدنيا واستقبل به حياة الآخرة؟ مع أن الحر ارتكب ذنباً عظيماً في حق الإمام الحسين عليه السلام وفي حق بنات الرسالة سلام الله عليهن، هذا ما يردده الخطباء سنوياً. قيل أن الحر جعجع بالحسين عليه السلام إلى كربلاء وقيل جعجع به حتى لا يصل إلى كربلاء. وقيل أراد أن يجعجع به إلى مكان ليس فيه ماء ولا كلاً امثالاً لأمر ابن زياد. وبهذا روع بنات الرسالة بما قام به من جعجة لركب الإمام الحسين عليه السلام. فهل يا ترى هذه الأقوال صحيحة أو أنها موضوعة؟ هل

هذا هو الذنب الذي جعل الحر يعتذر من الإمام الحسين عليه السلام أو أن هناك ذنب آخر؟ في رأيي يوجد تشويش في قصة الحر مع الإمام الحسين عليه السلام، أو أن هناك أموراً أخرى غائبة عنا لم يذكرها التاريخ.

لو سلمنا بهذا الذنب الكبير فإنه يتعارض مع قول الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه: (لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي). بالإضافة إلى أن الحر تعامل مع الإمام الحسين عليه السلام بأدب جم حينما التقى به في الحسم أو عذيب. كان الحر قادماً من الكوفة وكان الإمام الحسين عليه السلام قادماً من جهة الحجاز. وكانت مهمة الحر هي القبض على الإمام الحسين عليه السلام وتسليمه إلى ابن زياد في الكوفة، ولم يأمره بقتاله. فاحتمد بينهما النقاش. فعندما يؤس الحر من إقناع الإمام الحسين عليه السلام بالذهاب معه مخفورا إلى الكوفة، عرض الحر على الإمام الحسين عليه السلام أن يتخذ طريقاً لا يوصله إلى الكوفة ولا يرجعه إلى المدينة. فقبل الإمام الحسين عليه السلام عرضه.

ومن الإيجابيات التي أبداهَا الحر في تعامله مع الإمام الحسين عليه السلام أنه ذكر الزهراء عليها السلام بكلام جميل، واختار أن يصلي جماعة بإمامة الإمام الحسين عليه السلام.

وكان الحر يطلع الإمام الحسين عليه السلام على خطابات ابن زياد وآخرها التي طلب فيه من الحر أن يجعجع بالإمام الحسين عليه السلام إلى مكان ليس فيه ماء ولا كلاً، حيث وصل الخطاب إلى الحر وركب الحسين عليه السلام في نينوى. إذن الجعجة التي يتحدث عنها الخطباء أو المؤرخون لم تحدث لأن الإمام الحسين عليه السلام قد وصل إلى كربلاء، الأرض التي اختارها الله لمصرعه.

خلاصة القول، من خلال قراءتي لهذا المشهد من واقعة الطف، يتبين لي أن الحر رضوان الله تعالى عليه لم يرتكب ذنباً مباشراً في حق الإمام الحسين عليه السلام، بل بالعكس تعامل معه تعاملًا راقياً ولطيفاً. إذن ما هو الذنب الذي جعل الحر يعتذر من الحسين عليه السلام ويسأله هل لي من توبة؟ ربما لأن الحر كان في فسطاط بني أمية لذا قد يعد ذلك ذنباً يتطلب التوبة منه. وربما كان للحر تكتيك معين (تقية مثلاً أو فطنة وحنكة) لم يطلع أمره على أحد خوفاً من أن يكتشف أمره فيحول ذلك دون مشاركته مع الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، خصوصاً أن كثيراً من الموالين لأهل البيت عليهم السلام زجهم ابن زياد في السجون. وأخال كلمة الإمام الحسين عليه السلام في حقه تترجم هذه الرؤية حيث قال: (صدقت أمك حين سمتك حراً، أنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة). فالحر في الدنيا لا ينصاع لأوامر الطغاة إلا في الحدود التي يريد من خلالها الوصول إلى الهدف الأسمى.

في تصوري قضية الحر بن يزيد الرياحي تحتاج إلى مزيد من البحث وسبر أغوار التاريخ للوقوف على حقيقتها .

السلام عليك أيها الحر، يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا .

ومضة حسينية (٧) عمي العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان

قال الإمام الصادق عليهم السلام: (كان عمّي العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً). تميز العباس عليه السلام بثلاث خصال.

الأولى: كان العباس عليه السلام نافذ البصير وتعني قوي الإدراك وثاقب الفكر، ومن لديه هذه الصفة عادة ما تكون تصرفاته وتحركاته مبنية عن وعي تام ورأي سديد وحكمة كاشفة عن حقائق الأمور، ومن يملك نافذ البصيرة فهو عارف وعالم ذو علم غزير وعميق. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جدداً واضحاً ينتظر فيه الصرعة في المهاوي).

الثانية: كان العباس عليه السلام صلب الإيمان أي ثابت الإيمان، وإيمانه منطلق عن يقين تام، ليس فيه شك أو تردد أو ترنج. كان يتحرك في جميع شؤون الحياة على أرض صلبة في طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

الثالثة: الجهاد والشهادة: عندما جاهد العباس عليه السلام بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام لم يجاهد طلباً للدنيا أو إظهاراً لشجاعته وإنما كان جهاده نصرة للدين وإعلاء للكلمة الواحدة وذبا عن محارم الله. ولم ينصر أخاه الإمام الحسين عليه السلام منطلقاً من عاطفة أخوية وإنما نصره لأنه إمام مفترض الطاعة، لذلك كان العباس عليه السلام دائماً ينادي أخاه الإمام الحسين عليه السلام (يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبد الله).

ومسك الختام:

في زيارة العباس عليه السلام التي زاره الأئمة عليهم السلام بها والتي جاءت فيها هذه العبارة العظيمة: (لعن الله أمة استحلّت منك المحارم وهدتكم في قتل حرمته الإسلام). وحرمة الإسلام لا تهتك بمجرد قتل الأبطال، وإنما تهتك بقتل الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء ذوي البصيرة والعلم واليقين، والعباس عليه السلام من أفضل علماء أهل البيت بعد الأئمة عليهم السلام.

